المجلد 21، العدد 41 (أ) (2017/1439) 29-58
حقوق الطبع محفوظة لـ IIUM Press
الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا
ISSN 1823-1926 (Print)

الاختلافُ الفرشيُّ في سورة مريم: دراسةٌ تحليليَّةٌ

The Non-Standardized Variances *(Al-Farsh)* in the *Sūrat Maryam*: An Analytical Study

Perbezaan Farsh (Ortografi) dalam Surah Maryam: Kajian Analitikal

أميرة أحمد زين* وبدري نجيب زبير**

ملخص البحث

يهدف هذا البحث إلى تحليل ملابسات الاختلاف الفرشي في القرآن الكريم مركزا على ما ورد منه في سورة مريم سعيا وراء اكتشاف سبب وقوعه أو الحكمة من وراء ذلك، ففي سورة مريم ثماني آيات فيها اختلاف فرشي، وحلل الباحثان الاختلاف الواقع في كل آية تحليلا بلاغيا على مذهب الإمام الجرجاني الذي يهتم بربط العناصر التركيبية والأسلوبية بالسياق والمقام. وقد توصل البحث إلى أن الاختلاف الفرشي في السورة المدروسة يمكن إرجاعه لأسباب معينة إذا أمعنا النظر في مضمون الآية وارتباطه بما حولها. وهذا يؤكد أن الاختلاف الفرشي في القرآن ليس من باب التناقض بل من التنوع البلاغي المحمود، بل إنه يمثل جانبا قلما تعرض له من قبل من جوانب الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم.

الكلمات الرئيسة: الاختلافُ الفرشيُّ، القرآن الكريم، سورة مريم، الحكمة، الإعجاز البلاغي.

Abstract

This research intends to analyse the circumstances where the legitimate variant readings have occurred and still remain non-standardized (*ikthilāf*

* طالبة دكتوراه بقسم اللغة العربية وآدابها، كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية، الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا، البريد الإلكتروني: amirahaz@icloud.com

** أستاذ مشارك بقسم اللغة العربية وآدابها، كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية، الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا، badri@iium.edu.my

farshiyy) due its uniqueness, with special reference to those that occurred in the *sūrah* Maryam. To explore the reasons and wisdoms behind such variant readings are predominantly considered essential part of discussion throughout the study. There are eight non-standardized variant readings in *sūrah* Maryam and the researchers have analysed the variant readings of each verses in this *sūrah* in a way that appreciates their inimitable qualities of literature, according to Imam al-Jurjānī. Al-Jurjānī gives much importance to establish a close relationship between the syntactic and stylistic meanings of the Quran and their contextual significance. This study has concluded that the non-standardized variant readings in the given *sūrah* are quite necessary for certain reasons, when the connection of such readings with the whole content of verses are taken into consideration. This fact evidences that the phenomenon of *farsh* in the Quran cannot be counted among contradictory features the Book, rather they are among considerable varieties of the Quranic sentences, which are quite commendable. Furthermore, the *farsh* is among those aspects of inimitability of the Quran which still remain less studied and not fathomed so far.
Keywords: The non-standardized variances of reading in the Quran, the Holy Quran, *sūrah* Maryam, the wisdom, the literary inimitability.

Abstrak

Kajian ini bertujuan menyingkap situasi yang mendasari perbezaan *farsh* (ortografi) yang wujud dalam al-Quran dengan penumpuan khusus kepada kes yang terdapat di dalam Surah Maryam sebagai satu usaha untuk mengenalpasti sebab dan hikmah di sebalik terjadinya perbezaan tersebut. Dalam surah Maryam, terdapat lapan ayat yang mengandungi perbezaan *farsh.* Penulis telah menganalisis setiap ayat berdasarkan metode analisis retorik Arab yang dipeloporioleh ‘Abd al-Qahir al-Jurjani yang menekankan pentingnya unsur-unsur sintaks dan uslub dikaitkan dengan konteks linguistik dan konteks situasi. Kajian ini mendapati bahawa perbezaan *farsh* dalam Surah Maryam mempunyai sebab-sebab khusus yang dapat dizahirkan melalui penelitian yang rapi terhadap kandungan ayat dan bagaimana ia berkait dengan ayat-ayat sekeliling. Dapatan ini menunjukkan bahawa perbezaan *farsh* dalam al-Qur’an tidak membawa percanggahan makna, bahkan merupakan satu bentuk keindahan uslub dari sudut retorik. Ini pula ternyata telah menampakkan satu lagi aspek kemukjizatan al-Qur’an selaindaripada yang telah dibicarakan sebelum ini.
Kata kunci: Perbezaan *farsh*, al-Quran al Karim, surah Maryam, hikmah, *al-I’jaz al-Balaghi.*

مُقدِّمة

من المعروف أن القرآن الكريم أُنزل على سبعة أحرف، ودليله ما جاء عنه ﷺ: "حدّثنا سعيد بن عفير قال: حدّثني الليث قال: حدّثني عقيل، عن ابن شهاب قال: حدّثني عبيد الله بن عبد الله: أن عبد الله ابن عباس – رضي الله عنهما – حدّثه أن

رسول الله ﷺ قال: «أقرأني جبريل على حَرْفٍ، فراجعْته، فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف»"،[1] ولا يُقصد بالأحرف السبعة هنا القراءات السبع كما توهَّم بعضهم، بل إن لذلك تفسيرات عند العلماء أسهب القول فيها ابن الجزري.[2]

أما القراءات السبع فأول من جمعها ودوَّنها ابن مجاهد (ت324هـ)، وهي القراءات المروية عن سبعة أئمة: نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وعاصم، وحمزة، والكسائي،[3] وفي القرن التاسع الهجري أضاف ابن الجزري ثلاثة أئمة آخرين إلى هؤلاء السبعة؛ لعظمة شأنهم وثبوت تواتُر أسانيدهم عند أهل الفنّ، هم: أبو جعفر، ويعقوب، وخلف، فصار المشهور عند القراء منذ ذلك أن القراءات العشر هي القراءات المتواترة.

وعلمُ القراءات علمٌ "باختلاف ألفاظ الوحي في الحروف، وكيفيتها من تخفيف وتشديد وغيرهما"،[4] والخلاف في القراءات ينقسم إلى قسمين: أوله خلاف أصولي، وثانيه خلاف فرشي، ويُقصد بالأول ما كان من جهة قواعد القراء الرئيسة مثل قاعدة قالون في ضمِّ ميمات الضمائر، وابن كثير في قصر الممدود، وغير ذلك من القواعد التي تضبطها قواعد مطردة، أما الخلاف الفرشي فيُقصد به ما جاء من اختلاف القراء على غير مثال، فلا يكون مثل الأول الذي يتكرر في كل موطن، فتحقّقت فيه شروط القاعدة.[5] وفي هذا الصدد وضَّح ابن القاصح المراد بالفرش، فقال: "إن القراء يسمون ما قلَّ دوره من حروف القراءات المختلف فيها فرشًا؛ لأنها لما كانت مذكورة في أماكنها من

---

[1] البخاري، **الجامع الصحيح**، (المنصورة: دار الغد الجديد، 2002م)، في كتاب فضائل القرآن، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف، ص974، رقم الحديث 4991.

[2] ابن الجزري، **النشر في القراءات العشر**، ج1، (دار الكتاب العربي، د. ت.)، ص24.

[3] حبش، محمد، **الشامل في القراءات المتواترة**، (بيروت: دار الكلم الطيب، 2001م)، ص45، ويُنظر: وابن الجزري، **النشر في القراءات العشر**، ج1، ص24.

[4] السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، (بيروت: المكتبة الثقافية، 1973م)، ج1، ص80.

[5] حبش، **الشامل في القراءات المتواترة**، ص153.

السور فهي كالمفروشة؛ بخلاف الأصول؛ لأن الأصل الواحد منها ينطوي على الجميع، وسمَّى بعضهم الفرش (فروعًا) مقابلةً للأصول".[1]

وقد تتبَّع العلماء قضية الفرش في القرآن الكريم سورةً سورةً من أُمِّ الكتاب إلى سورة الناس، ومن أمثلة الفرش ما يأتي:

1. قوله ﷻ: ﴿... ننزل الملائكة...﴾ (الحجر: 8)، قرأ حفص وحمزة والكسائي بنُونين أولاهما مضمومة والثانية مفتوحة وزاي مكسورة و(الملائكة) بالنصب، وقرأ شعبة بتاء مضمومة ونون وزاي مفتوحتين و(الملائكة) بالرفع، والباقون مثله مع فتح التاء، وهذه التاء يُشددها البزي[2] والباقون يخففونها".[3]
2. "روى شعبة بالنون في: ﴿نُنبتُ لكم به الزرع﴾ (النحل: 11)، وقرأ غيره بالياء".[4]
3. "اختلفوا في: ﴿والشمس والقمر والنجوم مسخرات﴾ (النحل: 12)، فقرأ ابن عامر برفع الأسماء الأربعة، ووافقه حفص في الحرفين الأخيرين، وهما ﴿النجوم مسخرات﴾، وقرأ الباقون بنصب الأربعة وكسر التاء".[5]

ورأى العلماء أن الحكمة الرئيسة وراء الاختلاف في القراءات القرآنية إنما هي تيسير النطق ومراعاة تعدُّد لهجات العرب[6] والتخفيف على الأُمَّة وإرادة اليُسر لها،[7] وهذا ما نجده في أحاديثه ﷺ، ومنها الحديث الذي أُقرَّت فيه قراءة هشام بن حكيم بن حزام التي فيها

---

[1] ابن القاصح، **سراج القارئ المبتدئ وتذكار المقرئ المنتهي**، (بيروت: دار الفكر، 1995 م)، ص92.

[2] هكذا في الأصل والأفضل أن يُعبَّر بأنها مضعفة.

[3] ابن القاصح، **سراج القارئ المبتدئ وتذكار المقرئ المنتهي**، ص 93.

[4] أبو الفرح، سيد لاشين؛ الحافظ، خالد محمد، **تقريب المعاني في شرح حرز الأماني في القراءات السبع**، (المدينة المنورة: مكتبة دار الزمان، ط3، 1420هـ)، ص 309.

[5] ابن الجزري، **النشر في القراءات العشر**، ج2، ص302-303.

[6] ابن الجزري، **تقريب النشر في القراءات العشر**، (القاهرة: دار الحديث، ط2، 1992)، ص21.

[7] ابن الجزري، **النشر في القراءات العشر**، ج2، ص22.

حروف كثيرة لم يسمعها عمر بن الخطاب قبل ذلك: «... إن هذا القرآن أُنزل على سبعة أحرف فاقرؤوا ما تيسّر منه»،[1] ومما لا شك فيه أن إرادة التيسير واضحة في هذا الحديث.

ومع ذلك يمكن أن يقال إن تلك الحكمة ترتبط أساسًا بالأداء الصوتي؛ كالتحقيق، والتسهيل، والترقيق، والتفخيم، والإمالة، والتقليل، أو باختلاف اللهجات، فالقبائل التي تُسهِّل لا يلزم عليها التحقيق بفضل تعدُّد القراءات، ومن كانت عادتها ترقيق الراء المفتوحة بعد كسرة لا يُفرض عليها التفخيم، وهكذا، ولكن الملاحظ أن الفرش لا ينحصر في هذه الجوانب، فهناك تعدُّد فرشي يؤدي إلى اختلاف الإعراب وتعدُّد المعاني، فما كان من هذا النوع لا تكون صلته بتيسير النطق ظاهرة، فلا بُدَّ من أن تكون هناك أسرار وحِكَمٌ أخرى أرادها العليم الخبير جَلَّ جَلَالُهُ، وهذا ما أردنا تحليله في هذا البحث.

وجدير بالذكر أن هذا البحث لن يتناول ترجيح القراءات بعضها على بعض؛ لأن جميع القراءات المتواترة قرآن منزل من عند الله عَزَّ وَجَلَّ، والفرش من الأمور التي تتضمَّنها القراءات، وتعدُّد الفرش في مواقع معينة من القرآن يمسُّ جانب التركيب الصرفي أو النحوي، فيترتب على ذلك تعدُّد المعاني في تلك المواقع، ولا بُدَّ من أن يكون هذا التعدُّد مقصودًا مرادًا؛ لأنه من العليم الخبير الذي لا يناله السهو والتردد والخطأ والنسيان، وإذا كان مرادًا، فما الذي أدى إلى وقوعه في تلك المواقع بالذات؟

محور البحث إذن، محاولة الكشف عن المغزى وراء تعدُّد الألفاظ في موطن قرآني معين بالنظر إلى سياق الآيات حوله، والتوصل إلى المعاني الثانية التي ترتبط بذلك التعدُّد، أي سيُحاول الباحثان استخراج الدلالات التي تكمن في اختلاف الفرش الذي يؤدي إلى تعدُّد معاني الآية، وهذا يتطلب بطبيعة الحال تحليل مقام القول وسياق الكلام؛ لذا سيلجأ الباحثان إلى القواعد المقررة لهذا النوع من التحليل في علم البلاغة معتمدَيْنِ على منهج الإمام عبد القاهر الجرجاني، وبما أن المساحة لا تتَّسع لتناول جميع

[1] البخاري، **صحيح البخاري**، ص974، رقم الحديث 4992.

سور القرآن؛ اختار الباحثان سورة واحدة فقط لإجراء الدراسة عليها؛ هي سورة مريم.

ويدور هذا البحث أساسًا على بلاغة فرش القراءات القرآنية، وقد بذل أساطين من العلماء؛ كالأخفش، والزجاج، والفراء، وأبي علي الفارسي، وابن جني، والنحاس، وأبي حيان، والرازي؛ جهودًا عظيمة في توجيه القراءات وشرح وجوهها. وجُلُّ هذه الجهود تهتم بجوانب التوجيه الإعرابي، والأداء الصوتي لحروف معينة، وتفصيل القول في لغات العرب التي برزت في أوجه القراءات المعنية.

وفي العصر الحديث تواصل الاهتمام من قبل الباحثين في تناول القراءات من جهة النحو والأصوات، مثلما قام به د. محمد سالم محيسن في كتابه "المغني في توجيه القراءات العشر المتواترة". ففي هذا الكتاب، وجّه اختلاف الفرش من حيث النحو في جميع أجزاء القرآن الكريم حسب ترتيب الآيات والسور، وعالج الموضوع جيدًا بأسلوب مُيسَّر، ومثال ذلك توجيهه قوله ﷻ في سورة مريم: ﴿فناداها من تحتها ألا تحزني﴾ (مريم: 24)؛ ذكر أن اختلاف الفرش هنا في لفظ (منْ)، ووضّح أن المراد بِ(تحت) (دون)، وأن الفاعل يعود على عيسى عليه السلام أو الملك جبريل، ثم قال إن المعنى: "فكلمها جبريل من الجهة المحاذية لها، أو فكلمها عيسى من موضع ولادتها، وذلك تحت ثيابها"،[1] فهو يكتفي بمثل هذا القدر من البيان، ولا يتعرض للمغزى وراء وقوع الاختلاف في هذا الموقع.

وفي هذه الجامعة رسالة دكتوراه لنيء حنان مصطفى في أوجه الخلاف النحوي في قراءتي أبي عمرو والكسائي، وهو بحث دقيق ومُركَّز في بيان وجوه الفرش الواردة في القراءتين وإثبات صحتها نحويًا، ونرى ذلك مثلاً في تحليلها قوله ﷻ: ﴿فانطلقا حتى إذا ركبا في السفينة خرقها قال أخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئًا إمرًا﴾ (الكهف: 71)، فقد جعلت الباحثة الآية في باب ظهور الفاعل وتقديره، وكان تحليلها كالآتي: "قرأ أبو

---

[1] محيسن، محمد سالم، **المغني في توجيه القراءات العشر المتواترة**، (بيروت: دار الجيل، ط3، 1993م)، ج3، ص8-9.

عمرو: ﴿لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا﴾، بضم التاء ونصب اللام، وقرأ الكسائيّ: ﴿لِيَغْرَقَ أَهْلُهَا﴾، بالياء ورفع اللام. وحجة قراءة أبي عمرو هي المشابهة في الخطاب بين التراكيب: ﴿أَخَرَقْتَهَا﴾، و﴿لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا﴾، و﴿جِئْتَ﴾، وصار ﴿أَهلَهَا﴾ مفعولاً به، وكان الخطاب للخضر من موسى عليه السلام، ولهذا فضَّل أبو علي هذه القراءة على قراءة الكسائيّ، وأما في قراءة الكسائيّ فكان الفاعل هو الأهل أنفسهم، فيغرقون في البحر".[1] ومن المعلوم أن التحليل النحوي يقف عند الحد، فقد عرفنا بسبب ذلك أن الوجهين صحيحان قويان نحويًّا، ولكن الباحثين يحاولان التطرق إلى مستوى آخر من التحليل بتناوُل السؤال الآتي: لماذا أراد عز وجل أن يكون هذا الموقع ذا وجهين من القراءة؟ وبحثُ نىء حنان لم يتعرض إلى هذا المستوى من التحليل.

وفي رَبْطِ القراءات بالبلاغة كَتَبَ بعضُ الباحثين، مثل ما رأيناه عند أحمد سعد محمد في كتابه "التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية"، ففي هذا الكتاب يقسم الشواهد والأمثلة إلى ثلاثة أبواب؛ الباب الأول في التغايُر التصريفي والإعرابي في القراءات وأثره في تنوُّع الدلالة، والباب الثاني في تغايُر القراءات القرآنية وأثره في بلاغة التراكيب، والباب الأخير في تغايُر القراءات القرآنية وأثره في الصور البلاغية، وهذا الباب الأخير يخصّ الصور البلاغية، فله فصلان؛ أولهما تغايُر القراءات وتنوُّع الصور البلاغية، وثانيهما فنون الوفاء بالمعنى والإيقاع. ولنأخذ مثالاً من التوجيه في الآيتين 20 - 21 من سورة النحل، فقد نقل المؤلف ما قاله ابن عطية (ت546هـ) وأبو حيان (ت745هـ) من ترتُّب المجاز على قراءة (يدعون) بالياء بدل التاء (تدعون)، فالواضح هنا أن (أموات) في قراءة (يدعون) يُراد به الكفار، وهم يُشبَّهون بالأموات غير الأحياء من حيث إنهم ضالون غير مهتدين،[2] وهذا جيد بالغ، ولكن السؤال الرئيس هو: ما السر في وقوع الاختلاف في

---

[1] نىء حنان مصطفى، **أوجه الخلاف النحوي في قراءتي أبي عمرو بن العلاء والكسائي**، (رسالة الدكتوراه، الجامعة الإسلامية العالمية، ماليزيا، 2005)، ص80-81.

[2] أحمد، سعد محمد، **التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية**، (القاهرة: مكتبة الآداب، ط2، 1998م)، ص393-394.

هذا الموقع؟ وهو ما لم يتعرض له المؤلف.

ومن كتب في التوجيه البلاغي للقراءات أيضًا د. صبري المتولي، ففي كتابه "التوجيه اللغوي والبلاغي لقراءة الإمام عاصم"؛ درس توجيه القراءات لغويًّا وبلاغيًّا في خمسة عشر جزءًا، وهو جهد شاقٌّ ومشكور. ويلفت نظر الباحثين أنه وضع أصول روايتَي حفص وشعبة والفرش الخاص بهما في جداول توضيحية في بداية تحليل كل جزء، وهذا ما جعل بحثه أوضح وأيسر للاطلاع؛ إلا أن تحليله مقتصر على قراءة الإمام عاصم فحسب، وهو يميل إلى الإيجاز في أغلب الأحوال، ومثال ذلك تحليله الآية 10 من سورة النحل، قال: "قرأ حفص (يُنبِتُ) على لفظ الغيبة؛ تمشيًا مع المناسبة واتساقًا مع السياق، فقد تقدَّم لفظُ الغيبة في قوله تعالى: (هو الذي...)، وقرأ شعبة (ننبت) على الالتفات من الغيبة إلى التكلم، فالفعل المضارع مبدوء بنون العظمة إيذانًا بالإخبار من الله جلَّ ذكرُه عن نفسه. والقيمة الفنية في أسلوب الالتفات هنا تكمن في تفخيم المعنى، واستحضار المقام الأسنى لأسماء الله الحسنى".[1]

ومن الجدير بالذكر في هذا الصدد أن لعبد الفتاح القاضي بحثًا مهمًّا بعنوان "القراءات في نظر المستشرقين والملحدين" ردَّ فيه على كتاب غولدتسيهر المترجم إلى اللغة العربية "مذاهب التفسير الإسلامي"، فقد ردَّ القاضي على مزاعم غولدتسيهر أن القراءات لم يكن منشؤها الوحي، فهو يناقش المستشرق بأسلوب علمي قوي وواضح، من مثل تعرُّضه لما يأتي من كلام غولدتسيهر: "ثم ذكر أمثلة للقراءات الناشئة من خلو المصاحف من الشكل والحركات، فذكر آية 8 من سورة الحجر: ﴿ما ننزل الملائكة بالحق وما كانوا إذًا منظرين﴾، ثم قال: فتبعًا لاختلاف القراء في قراءة اللفظ الدال على نزول الملائكة؛ هل هو: نُنَزِّلُ، أو تَنْزِلُ، أو تُنْزَلُ؟ كل هذه القراءات ممثلة في الأقاليم المختلفة

[1] المتولي، صبري، **التوجيه اللغوي والبلاغي لقراءة الإمام عاصم**، (القاهرة: دار غريب، 1998م)، ص272.

تفيد المعنى كل كلمة بما يناسبها: نحن ننزل الملائكة، أو الملائكة تنزل".[1] وفي ردِّه على هذا الزعم أكد القاضي صحّة بعض الأوجه من دون بعض في هذا الموقع، فبيَّن أن الأول (نُنَزِّلُ) ثبت تواتُره عن الرسول، وهي قراءة: حفص، وحمزة، والكسائي، وخلف البزار، أما (تَنْزِلُ) و(تُنْزَلُ) فليستا من القراءات المتواترة، ولا من القراءات الشاذة، فلم يقرأ بهما أحد، فهما إذن من اختراع المستشرق نفسه.

والبحث الحالي إلى حدٍّ ما مواصلةٌ لجهد عبد الفتاح القاضي من حيث إن الشيخ اهتم بإثبات خطأ غولدتسيهر في تصوُّره أن تعدُّد القراءات يدلُّ على أن القرآن صُنْعُ بَشَرٍ، و من البحث الحالي سيكتشف القارئ أن التعدُّد الفرشي لا يحدث اعتباطًا، بل لتحقيق مغزى بلاغي معين، وهو ما يُبرز أن ذلك التعدُّد كان مقصودًا مرادًا منذ البداية، فصار بذلك من وجوه الإعجاز البياني للقرآن العظيم.

واتخذ البحث المنهج الوصفي التحليلي منهجًا له؛ بحيث قام على استخراج جميع أمثلة التعدُّد الفرشي عند القراء العشرة في سورة مريم التي يصح تناولها بالتحليل البلاغي، وفي عملية التحليل استعان الباحثان بكُتب توجيه القراءات وكُتب التفسير؛ لمعرفة التعدُّد الدلالي الناتج من الاختلاف، ثم حلَّلا سرَّ وقوع الاختلاف في مواضعه المختلفة من القرآن الكريم بالنظر إلى سياق الآية واعتبار المقام.

مواضع الاختلاف الفرشي في سورة مريم

سبق أن علمنا أن فرش القراءات منتشر في جميع السور القرآنية، ولما كان هذا البحث يخص سورة مريم، كان التحليل مُطبَّقًا على ثماني آيات قرآنية فيها اختلاف فرشي، والاختلاف واقع: إما في الأفعال، وإما في الأسماء، وإما في الأحرف.

الموضع الأول

في قوله ﷻ: ﴿فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلاَّ تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ (مريم: 24)؛

[1] القاضي، عبد الفتاح، **القراءات في نظر المستشرقين والملحدين**، (دار مصر للطباعة)، ص24.

نجد اختلافًا في قراءة: (من تحتها)؛ "قرأ المدنيان – أي نافع وأبو جعفر – وحمزة، والكسائي، وخلف، وحفص، وروح: (من) بكسر الميم و(تحتها) بخفض التاء، والباقون بفتح الميم ونصب التاء".[1]

إذن فيها وجهان؛ أولهما (مِنْ تَحْتِهَا)، وثانيهما (مَنْ تَحْتَهَا)، وكلاهما مختلفان من حيث الإعراب، ففي القراءة الأولى (مِن تحتِها) يكون (مِن) حرف الجر، وفاعل (نادى) ضمير مستتر تقديره (هو)، أما في القراءة الثانية (مَن تحتَها) فيكون (مَنْ) اسمًا موصولاً، وهو فاعل (نادى)، فالفاعل في القراءتين مختلف من حيث إنه: في القراءة الأولى مُقدَّر، وفي القراءة الثانية ظاهر.[2]

والنظر إلى سياق الآية يقودنا إلى مشهد مريم – عليها السلام – فقد اضطرّها وألجأها المخاض إلى جذع النخلة، وفي هذه الحالة الشاقة على نفسها ناداها مناد مِن تحتها قائلاً ما معناه: لا تحزني لأن الله جعل عندك طعامًا وشرابًا، وفي تفسير فاعِل (نادى) قولان ذكرهما ابن كثير؛ أولهما الملك جبريل عليه السلام، وثانيهما عيسى عليه السلام،[3] فيكون المعنى في كون الفاعل جبريل إذن: فكلمها جبريل عليه السلام من الجهة المحاذية لها،[4] أو: فناداها من دونها،[5] أو: ناداها من أسفل الوادي،[6] وفي كون الفاعل عيسى عليه السلام يكون المعنى: فكلمها عيسى من موضع ولادتها، وذلك تحت ثيابها.[7]

واختلف الموجهون في أيهما أقوى في المعنى، فمن القائلين إن الفاعل عيسى

---

[1] ابن الجزري، **تقريب النشر في القراءات العشر**، ص139-140.

[2] بيء حنان مصطفى، **أوجه الخلاف النحوي في قراءتي أبي عمرو بن العلاء والكسائي**، ص

[3] ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، (بيروت: دار ابن حزم، ط1، 2000م)، ص1184.

[4] محيسن، **المغني في توجيه القراءات العشر المتواترة**، ج3، ص9.

[5] أبو علي الفارسي، **الحجة في علل القراءات السبع**، (مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2، 1983م)، ج3، ص493.

[6] ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم** ، ص1184.

[7] محيسن، **المغني في توجيه القراءات العشر المتواترة**، ج3، ص9.

الطَيْكِلا: مجاهد، والحسن، وابن جبير، وأُبيُّ بن كعب،[1] وعبد الرزاق عن معمر عن قتادة، والحسن عن سعيد بن جبير، واختاره ابن زيد، وابن جرير في تفسيره،[2] وأبو منصور،[3] ويرى أبو عبيد أن (مَن) في القراءة (مَن تحتها) يخص عيسى، وأن الفاعل في القراءة (مِن تحتها) يجوز أن يكون عيسى أو جبريل،[4] ونقل أبو زرعة عن الحسن البصري قوله في القراءة (مِن تحتِها) أن الفاعل فيما يراه عيسى: "(مِن تحتها: عيسى)، فكأنه جعل الفاعل مستترًا في (ناداها)؛ المعنى: فناداها عيسى مِن تحتها وهو أجود الوجهَين، وذلك أنه جرى ذكره في قوله: ﴿فحملته...﴾ (مريم: 22)، فلما أتى الفعل بعد ذكره دلَّ على أنه فعلُ المذكور، وأنه مستتر في فعله..."،[5] وكذلك محمد سالم محيسن، فإنه يفضل كون عيسى فاعلاً في قراءة (مِن تحتها)،[6] أما مكي فيرى أن الفاعل الذي هو الضمير المستتر في فعل (نادى) جبريل، وذلك عنده أقوى في المعنى، ومن القائلين إن الفاعل جبريل: العوفي وغيره عن ابن عباس، وسعيد بن جبير، والضحاك، وعمرو بن ميمون، والسدي، وقتادة.[7]

فما سرُّ وقوع الاختلاف هنا بين (مَن تحتها) و(مِن تحتها)؟ يرى الباحثان أن الاختلاف هنا يكون في جانب تركيز الكلام، فالأول (مَن تحتها) يُركِّز على المنادي، والسؤال هنا: هل المنادي له أهميته هنا؟ فبالنظر إلى سياق الآية وما قبلها وما بعدها، نميل إلى القول إن الفاعل عيسى الطَيْكِلا، وكون عيسى مناديًا أبلغ بكثير من كون جبريل

[1] أبو زرعة، **حجة القراءات**، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط5، 2001م)، ص441؛ ابن عطية، **المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 2001م)، ج3، ص11.

[2] ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ص1184.

[3] الأزهري، **كتاب معاني القراءات**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1999م)، ص283.

[4] أبو جعفر النحاس، **إعراب القرآن**، (بيروت: مكتبة النهضة العربية، ط3، 1988م)، ج3، ص12.

[5] أبو زرعة، **حجة القراءات** ، ص442

[6] محيسن، **المغني في توجيه القراءات العشر المتواترة**، ج3، ص9.

[7] ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ص1184.

عليه السلام مناديًا، وليتَّضح الأمر فلننظر إلى ترتيب القصة بداية من تمثُّل الملك جبريل لها بشرًا سويًّا، فدار بينهما الحوار الآتي: ﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ۞ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ۞ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ۞ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾ (مريم: 18-21)، فالواضح من الحوار أن ضمير المخاطب (أنتَ) والضمير المستتر للفعل (قال) يرجع إلى جبريل، ولا خلاف في ذلك. ونرى أن الحوار بين الملك ومريم انتهى هنا، ثم في الآية: ﴿فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا﴾ (مريم: 22)؛ نجد ضميرًا يرجع إلى عيسى عليه السلام، أي: فحَمَلَتْ مريم عيسى عليه السلام، وأصابها الجزع الشديد من كونها ستلد الولد من دون الأب، ولا تدري كيف تواجه قومها، ويصل الجزع إلى درجة أنها قالت: ﴿يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا﴾ (مريم: 23)، وفجأة ناداها مُنادٍ هو [مِنْ أو مَن] تحتها يقول لها: لا تحزني؛ أليس الأحسن لها في مثل هذه الحالة الشاقة على نفسها أن يُكلِّمها ابنها؟ وذلك يجعلها قادرة على مواجهة قومها بكل يقين؛ لأنها سمعت بأذنيها كلام ابنها الصبي، وتسلسُل الآية بعد حوار مريم مع المنادي يُشير مرة أخرى إلى أن المنادي عيسى عليه السلام، وذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا﴾ (مريم: 27)، فالذي يتضح لنا بالنظر إلى تسلسُل الآيات أن الحوار بين مريم وجبريل عليه السلام تم في الآيات 18 – 21، ثم تبدأ قصة مريم مع ابنها وهو في بطنها تحملها، ثم يناديها ويُكلِّمها مِن تحتها.

وإذا سلَّمنا بكون عيسى عليه السلام مناديًا ظهرت أهميته حينئذ؛ لأن مريم كانت في المخاض وترقُّب موعد الولادة، والولادة عملية مؤلمة متعبة، فضلاً عن ذلك يبدو من قولها وهي في المخاض جزعُها من الناس فمن المتوقع أنها ستُتَّهم بولادةٍ مِنْ زنا؛ إذ ليس لها بعل، ولن يُصدِّقها قومها في خبرها بولادةٍ مِنْ غيرِ مَسِّ بَشَرٍ، وهي كانت عندهم

عابدة ناسكة،[1] ففي مثل هذه الحالة ما أقرُّ لعينها وأوقعُ في قلبها مِن أن تنظر إلى صبيِّها بعدما ولدته تسمع منه يتكلم إليها قائلاً: لا تحزني، ويُسليها بأن الله قد أعدَّ لها طعامًا وشرابًا؟ ووقوع الشيء غير المتوقع يُحدث في النفس تأثيرًا كبيرًا، وكذلك لأنه هو السبب المباشر لما سيقول لها الناس ما يقولون، أما إذا كان المنادي جبريل عليه السلام فلن يكون التأثير فيها بمنزلة كلام عيسى عليه السلام معها. وقد سبق القول أن: ابن عطية، وأبا علي الفارسي، ومحمد سالم محيسن، قالوا إن كون عيسى مناديًا أبلغ، فذكر ابن عطية أن في الآية أمرًا خارقًا للعادة أراد به جل جلاله مرادًا عظيمًا، "فإنه يُبين به عذر مريم، ولا تبقى بها استرابة، فلذلك كان النداء ألا يقع حزن"،[2] وقال أبو علي الفارسي: "وأن يكون المنادي لها عيسى أشبه وأشد إزالة لما خامرها من الوحشة والاغتمام بما يوجد به طعن عليها؛ لأن ذلك يثقل على طباع البشر"،[3] وبيّن محمد سالم محيسن أن "كون الضمير لعيسى عليه السلام أبين وأعظم في زوال وحشتها لتسكين نفسها".[4]

أما في قراءة (مِن تحتها) فيكون تركيز الكلام على جهة المتكلم، فيكون الكلام من موضع ولادتها، ولعل استخدام (مِن) يشير إلى سرعة كلام عيسى عليه السلام لها بعد ما وُلد قبل أن ترفعه مِن تحتها لتحضنه، وفطرة الأم لا تسمح لها بأن تدع المولود تحتها من دون أن ترفعه، ولكن مِن سرعة كلامه لها – ليُقرَّ عينها ألا تحزن، وأن الله عز وجل معها – كلَّمَها وهو ما زال تحتها.

وخلاصة القول أن لورود الاختلاف الفرشي في هذه الآية مغزى دقيق، ففي قراءة (مَن تحتها) نرى أن التركيز يكون على المنادي؛ لأن كلامه مع مريم حينذاك في غاية الأهمية، ولا سيما أن المنادي عيسى عليه السلام، أما قراءة (مِن تحتها) فتُشير إلى سرعة كلام

---

[1] المصدر نفسه.

[2] ابن عطية، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، ج4، ص11.

[3] الفارسي، **الحجة في علل القراءات السبع**، ج3، ص493.

[4] محيسن، **المغني في توجيه القراءات العشر**، ج3، ص9.

عيسى عليه السلام لأمه؛ أي مباشرة بعد ما وُلد، فالواضح ههنا أن التركيز على المنادي وموضع الولادة سرُّ وقوع الاختلاف، وهما سببان رئيسان متكاملان بعضهما ببعض في تسلية مريم وإزالة ما عندها من الوحشة والاغتمام، وهذه الغاية متفقة مع سياق الآية.

الموضع الثاني

في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ذَلِكَ عِيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الحَقِّ الَّذِي فِيْهِ يَمْتَرُونَ﴾ (مريم: 34)؛ اختلف القراء في (قول)، فابن عامر، وعاصم، ويعقوب؛ قرؤوا بنصبها، والباقون برفعها.[1]

الأقوال في قراءة الرفع (قولُ):

- جعل بعضُ القراء (قولُ الحقِّ) نعتًا أو تابعًا عيسى عليه السلام،[2] هذا قول: الكسائي،[3] واليزيدي،[4] ويصح هذا الإعراب عند الطبري إذا كان (القول) بمعنى (الكلمة)،[5] وقد قيل فيه: روح الله وكلمته؛ أي هو قول الحق = هو كلمة الحق.[6]
- الرفع بمضمر؛ أي: هذا قولُ الحق؛ على الابتداء،[7] وقيل إن التقدير: هذا الكلام قولُ الحق،[8] وقال آخرون إن المعنى: هذا الكلام الذي جرى هو قول الحق.[9]

---

[1] ابن الجزري، **تقريب النشر في القراءات العشر**، ص140.

[2] الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، (القاهرة: دار السلام، ط1، 2005م)، ج7، ص5495.

[3] النحاس، **إعراب القرآن**، ص16.

[4] أبو زرعة، **حجة القراءات**، ص443.

[5] الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ج7، ص5495.

[6] أبو زرعة، **حجة القراءات**، ص443؛ الفارسي، **الحجة في علل القراءات السبع**، ج3، ص497.

[7] ابن عطية، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز** ، ج4، ص15؛ الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ج7، ص5495.

[8] النحاس، **إعراب القرآن**، ج3، ص16؛ الفارسي، **الحجة في علل القراءات السبع**، ج3، ص497؛ مكي بن أبي طالب، **كتاب الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها**، ج2، (مؤسسة الرسالة،1987م)، ص88.

[9] أبو زرعة، **حجة القراءات**، ص443.

- (قولُ) خبر مبتدأ محذوف، أي: هو – أي نسبته إلى أُمِّه فقط – قول الحق،[1] وقال أبو حاتم إن المعنى: هو قولُ الحق.[2]
- (ذلك) مبتدأ، و(عيسى بن مريم) خبر، و(قولُ الحق) خبر ثان، كما تقول: هذا حلوٌ حامضٌ.[3]

الأقوال في قراءة النصب (قولَ):

- النصب على المصدر[4] المؤكد مضمونَ الجملة قبله، وعامله محذوف؛ تقديره: ذلك عيسى بن مريم أقول قولَ الحق الذي فيه يمترون.[5] قال الفراء إنه بمعنى (حقًّا)،[6] وإن نصب (الحق) على اجتماع المعرفة والنكرة، كقولك: هذا عبد الله الأسدَ عاديًا، كما يقولون: أسدًا عاديًا، كأنه قال: قولاً حقًّا.[7]
- النصب على أن قوله: ﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾؛ يدل على أنه: أحقَّ قولَ الحق.[8]

و(الحق) يحتمل أن يكون معناه الصدق، أو اسم من أسماء الله ﷻ، وإن كان بمعنى الصدق فتقديره: أقول قول الحق، وإن أُريد به اسم من أسماء الله ﷻ، فنصبُه على أنه

---

[1] البنا، أحمد بن محمد، **إتحاف فضلاء البشر بالقراءات لأربعة عشر**، (بيروت: عالم الكتب، ط1، 1987م)، ص236.

[2] الأزهري، **كتاب معاني القراءات**، ص285.

[3] الباقولي، **كشف المشكلات وإيضاح المُعضلات في إعراب القرآن وعلل القراءات**، (عمان: دار عمار، 2001م)، ج2، ص76.

[4] ابن عطية، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، ج4، ص15.

[5] أبو حيان، **تفسير البحر المحيط**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 2001م)، ج6، ص179؛ الأزهري، **كتاب معاني القراءات**، ص285؛ نور الدين أبو الحسن علي، **كشف المشكلات وإيضاح المعضلات**، ج2، ص77؛ وقول أبي إسحق ذكره: النحاس، **إعراب القرآن**، ج3، ص16؛ أبو زرعة، **حجة القراءات**، ص443؛ محيسن، **المغني في توجيه القراءات العشر**، ج3، ص10.

[6] الفراء، **معاني القرآن**، ج2، ص168؛ النحاس، **إعراب القرآن**، ج3، ص16.

[7] الأزهري، **كتاب معاني القراءات**، ص285.

[8] الفارسي، **الحجة في علل القراءات السبع**، ج3، ص497.

مفعول لفعل محذوف تقديره: أمدح قول الحق؛ أي: كلمته عيسى عليه السلام،[1] وقال الزمخشري في هذا: "وأما انتصابه فعلى المدح إن فُسِّر بـ(كلمة الله)، وعلى أنه مصدر مؤكد لمضمون الجملة إن أُريد: قول الثبات والصدق".[2]

والآية من ضمن الآيتين الاعتراضيتين بين قول عيسى عليه السلام السابق: ﴿قال إني عبد الله... ويوم أُبعث حيًّا﴾، وقوله بعد الآيتين: ﴿وإن الله ربي...﴾، والآية في قوله سبحانه وتعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم: ﴿ذلك - الذي قصصنا عليك من خبر عيسى - قول الحق الذي فيه يمترون﴾؛ أي يختلف المبطلون والمحقُّون ممن آمن به وكفر به.[3]

وذكر الطبري علة الرفع على الابتداء: "وذلك أن الخبر قد تناهى عن قصة عيسى وأمه عند قوله: ﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾، ثم ابتدأ الخبر بأن الحقّ فيما فيه تمتري الأمم من أمر عيسى، هو هذا القول، الذي أخبر به سبحانه وتعالى عنه عباده من دون غيره.[4] ومما توصَّل إليه العلماء من معنى القراءة بالرفع: هذا قولُ الحق، وهذا الكلام قولُ الحق، وهذا الكلام الذي جرى هو قول الحق، وهذه القراءة اختارها الأكثرون،[5] ومع ذلك لا يرى الباحثان أن قراءة النصب ناقصة؛ لأن لكل قراءة معناها، فالملاحظ مثلاً أن هنالك فرقًا في معنى (قول) على إعراب الرفع وعلى إعراب النصب، وذلك لو اتفقنا مع ما يراه الطبري أن إعرابه مرفوعًا لا يصح إلا أن يكون (القول) بمعنى (الكلمة)، والكلمة تشير إلى عيسى عليه السلام، فيكون معنى الكلام: ذلك عيسى ابن مريم كلمةُ الحق، وتسميته (كلمة الله)؛ "لأنه لم يولد إلا بكلمة الله وحدها، وهي قوله: ﴿كن﴾، من غير وساطة

---

[1] محيسن، **المغني في توجيه القراءات العشر المتواترة**، ج3، ص10-11.

[2] الزمخشري، **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، (القاهرة: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، 1966م)، ج2، ص509.

[3] ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ص1187.

[4] الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ج7، ص5495.

[5] منهم: ابن كثير بقوله: "والرفع أظهر إعرابًا"، **تفسير القرآن العظيم**، ص1187؛ مكي بن أبي طالب، **كتاب الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها**، ج2، ص89.

أب"،[1] ولا يمتنع أن تشير القراءة بالرفع إلى معنى المصدر ولكن ليس ذلك عند الطبري، أما إعرابه منصوبًا فعلى أنه مصدر مؤكد مضمون الجملة قبله؛ أي: "هذه الأخبار عن عيسى أنه ابن مريم ثابت صدق ليس منسوبًا لغيرها؛ أي إنها ولدته من غير مَسِّ بَشَرٍ"،[2] وفي هذا الإعراب إخبار من الله ﷻ عن نفسه أنه: أقول قولَ الحقّ إن عيسى هو ابن مريم، وليس ولدي، بل كان نبيًّا.

وخلاصة القول أن الاختلاف الفرشي في الإعرابَين يُولد التوسع في المعنى؛ لأن هذه المعاني كلها مهمة في قضية كبيرة مثل ولادة عيسى عليه السلام من دون أب، وذلك هو السبب – والله أعلم – في وقوع الاختلاف الفرشي في هذه الآية.

الموضع الثالث

ورد الاختلاف في إعراب الفعل (يكون) بين الرفع والنصب، ويكون هذا الاختلاف في ستة مواضع في القرآن الكريم ذكرها ابن الجزري،[3] وأحدها قوله عليه السلام: ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (مريم: 35).

يكون التقدير للرفع (يكونُ) مثل التقدير في قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ (النحل: 40)، فقد قال الطبري إن الرفع على الابتداء، وإن قوله: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ﴾؛ كلامٌ تامٌّ مُكتفٍ بنفسه عما بعده، ثم يبتدئ، فيقول: ﴿فيكون﴾،[4] وقال أبو جعفر: "الوجه (فيكون) مرفوع، وتقديره عند سيبويه: فهو يكونُ"،[5] وقال الزمخشري: "﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾ من (كَانَ) التامة التي بمعنى الحدوث والوجود؛ أي: إذا أردنا وجود شيء فليس إلا أن نقول له: احدث، فهو يحدثُ

---

[1] الزمخشري، **الكشاف**، ج2، ص509.

[2] أبو حيان، **البحر المحيط**، ج6، ص178.

[3] ابن الجزري، **النشر في القراءات العشر**، ج2، ص220.

[4] الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ج6، ص4979.

[5] النحاس، **إعراب القرآن**، ج2، ص396؛ الأزهري، **كتاب معاني القراءات**، ص61.

عقيب ذلك؛ لا يتوقف"،[1] أما التقدير للنصب (يكونَ) فعلى جواب الأمر بالفاء.[2]

وفي تحليل الاختلاف الفرشي في الآية نقول: لما أخبر الله ﷻ أنه خلق عيسى عليه السلام عبدًا نبيًّا نزَّه نفسه سبحانه وتعالى فقال: ﴿مَا كَانَ لِلهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ﴾؛ أي: عما يقول هؤلاء الجاهلون الظالمون المعتدون، ﴿إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾؛ أي: إذا أراد شيئًا، فإنما يأمر به، فيصير كما يشاء،[3] فواضح هنا أن القراءة بالرفع تخصُّ أمرَ خَلْقِ عيسى عليه السلام؛ أي: فإنما يقول له، أي لشيء سيُخلق بشرًا ويكون عيسى: كُن، فكان ذلك البشر الذي هو عيسى عليه السلام، فهذا القول يُخبر عما مضى، وتجيء القراءة بالنصب (يكونَ) للإشارة إلى المبدأ العام، وهو أن الأمور تحدث كما شاء الخالق، وقد حدث ذلك منذ أول الخلق، وسيبقى كذلك أبد الدهر؛ أي: إذا قضى أمرًا ما، فيأمر بوجوده فسيكون الأمر موجودًا.

خلاصة القول أن القراءة بالرفع كما وصل إليه ابن الجزري[4] تشير إلى ما قد مضى، وخَلْقُ عيسى عليه السلام مما قد مضى، والقراءة بالنصب ترمز إلى صفة الله الأزلية التي تقدر على الإيجاد والإعدام كيفما شاء، فوجود الاختلاف الفرشي في هذه الآية يوحي بأن الله عز وجل يُثبت أمرين معًا: أن خلق عيسى عليه السلام قد تم كما شاء وأراد، وأن هذه القدرة على إيجاد الشيء حسب مراده ﷻ باقية لا انتهاء لها.

الموضع الرابع

في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وإِنَّ اللهَ رَبِّي ورَبُّكُم فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيْمٌ﴾ (مريم: 36)، استخدام (إنّ) و(أنّ) في موضع واحد، فقد قرأ: الكوفيون (عاصم، وحمزة، والكسائي، وخلف)، وابن عامر، وروح؛ بكسر الهمزة، والباقون بفتحها.

---

[1] الكشاف، **الزمخشري**، ج2، ص410.

[2] الأزهري، **كتاب معاني القراءات**، ص62.

[3] ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ص1187.

[4] ابن الجزري، **النشر في القراءات العشر**، ج2، ص220-221.

الأقوال في قراءة الكسر (إنّ):

- إنه مستأنف مبتدأ،[1] "ويدل على الاستئناف أن الذي قبل (وإنَّ) رأس آية، وقد تم الكلام على ذلك، ثم وقع الاستئناف بعد تمام الكلام على رأس الآية"،[2] وما قبل الآية قوله ﷻ: ﴿مَا كَانَ لِلهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (مريم: 35)، وكون (إنَّ) مستأنفًا يجعل الآية في جملة جديدة بعد قطع.
- أن تكون (إنَّ) عطفًا على قوله ﷻ قبل الآية: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللهِ آتَانِيَ الكِتَابَ وجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ (مريم: 30)، ويكون المعنى: قال إني عبد الله... وإن الله ربي وربكم فاعبدوه.[3]

والحقيقة أن هذين القولين الأول والثاني يمكن أن ندمجهما في واحد، وتكون (إنَّ) عطفًا على قوله: ﴿إِنِّي عَبْدُ اللهِ...﴾، فيكون مستأنفًا؛ كما أن المعطوف عليه مستأنف.[4]

- يجوز الكسر عطفًا على (إنما)[5] في قوله ﷻ: ﴿مَا كَانَ لِلهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (مريم: 35)، وفي هذا الإعراب يُمكن أن تكون الآية 35 من كلام عيسى عليه السلام إلى قومه وهو في المهد؛ لأن الجملة بعدها كلامه عليه السلام.

الأقوال في قراءة الفتح (أنّ):

- مذهب الخليل وسيبويه أن المعنى: ولأن الله ربي وربكم فاعبدوه[6]، وأجاز الفراء[1] أن يكون في موضع خفض على حذف اللام؛[2] أي على أنه مجرور بلام

---

[1] النحاس، **إعراب القرآن**، ج3، ص17؛ محيسن، **المغني في توجيه القراءات العشر المتواترة**، ج2، ص57؛ الأزهري، **كتاب معاني القراءات**، ص284؛ مكي بن أبي طالب، **كتاب الكشف**، ج2، ص89.

[2] مكي بن أبي طالب، **كتاب الكشف**، ج2، ص89؛ محيسن، **القراءات وأثرها في علوم العربية**، ج2، ص57.

[3] مكي بن أبي طالب، **كتاب الكشف**، ج2، ص89؛ محيسن، **القراءات وأثرها في علوم العربية**، ج2، ص57.

[4] الفارسي، **الحجة في علل القراءات السبع**، ج3، ص498.

[5] مكي بن أبي طالب، **كتاب الكشف**، ج2، ص89.

[6] وافق على هذا المعنى الزمخشري، **الكشاف**، ج2، ص509.

محذوفة، والجار والمجرور متعلقان بالفعل بعده[3]، وقال البنا إن المعنى على هذا الإعراب: لوحدانيته أطيعوه.[4]

- أجاز الفراء أيضًا أن يكون في موضع خفض، أو معطوف على (بالصلاة)،[5] بمعنى: وأوصاني بالصلاة والزكاة وبأن الله ربي وربكم.[6]
- أجاز الكسائي أن يكون في موضع رفع بمعنى: والأمر أن الله ربي وربكم، وحكى أبو عبيد أن أبا عمرو بن العلاء قاله، وهو أن يكون المعنى: وقضى أن الله ربي وربكم.[7]
- يجوز عطف (أن) على (سبحانه) في الآية قبله: ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (مريم: 35)، فتكون (أن) في موضع نصب، لأن (سبحانه) في موضع نصب.[8]
- أجاز الفراء أن تكون (أنَّ) في موضع رفع على خبر ابتداء مُضمَر، تقديره عنده: وذلك أن الله ربي.[9]

والملاحظ أن أحد وجوه إعراب القراءة بالكسر؛ أي العطف على (إنما)، واثنين من

[1] الفراء، **معاني القرآن**، ج2، ص168.

[2] النحاس، **إعراب القرآن**، ج3، ص17-18، وأيد هذا الإعراب: الأزهري، **كتاب معاني القراءات**، ص284؛ مكي بن أبي طالب، **الكشف عن وجوه القراءات**، ج2، ص89.

[3] محيسن، **القراءات وأثرها في علوم العربية**، ج2، ص57؛ حبش، **الشامل في القراءات المتواترة**، ص45.

[4] البنا، **إتحاف فضلاء البشر**، ج2، ص237.

[5] محيسن، **القراءات وأثرها في علوم العربية**، ج2، ص57.

[6] النحاس، **إعراب القرآن**، ج3، ص17-18؛ الأزهري، **كتاب معاني القراءات**، ص284؛ أبو زرعة، **حجة القراءات**، ص444؛ مكي ابن أبي طالب، **كتاب الكشف**، ج2، ص89؛ البنا، **إتحاف فضلاء البشر**، ج2، ص237؛ الفارسي، **الحجة في علل القراءات السبع**، ج3، ص498.

[7] النحاس، **إعراب القرآن**، ج3، ص18.

[8] مكي بن أبي طالب، **كتاب الكشف**، ج2، ص89.

[9] الفراء، **معاني القرآن**، ج2، ص168؛ مكي بن أبي طالب، **كتاب الكشف**، ج2، ص89.

إعراب القراءة بالفتح؛ أي العطف على (قضى) و(سبحان)؛ كلها تؤثر في أن الآية 35 تجري مجرى كلام عيسى عليه السلام لقومه وهو في المهد.

ذلك هو الإعراب، والسؤال: لماذا وَرَدت القراءة بالوجهين: (إنَّ)، و(أنَّ)؟ في سياق الآية 36 أن عيسى عليه السلام كان يُكلِّم قومه في المهد، وكذا في الآيات 30 - 33، ثم يجيء التعقيب في الآيتين بعدها؛ لتقرير حقيقة عيسى ابن مريم، وللفصل في قضية بُنُوَّتِه،[1] ثم يعود سياق الآية إلى كلام عيسى عليه السلام في المهد حين أخبر قومَه أن الله عز وجل ربُّهم وربُّه، وأمرهم بعبادته،[2] ويبدو لنا أن القراءة بالفتح تُوافق السياق من حيث إنه يقع في الآية مواصلةُ عيسى عليه السلام كلامه، ونرى (أنَّ) في موضع خفض على حذف اللام، أو عطفًا على (بالصلاة)، أو في موضع الرفع أو النصب، فيكون المعنى كالآتي:

- لأن الله ربي وربكم فاعبدوه... إلخ.
- أوصاني بالصلاة والزكاة وبأن الله ربي وربكم فاعبدوه... إلخ.
- الأمر أن الله ربي وربكم، فاعبدوه... إلخ.
- وقضى أن الله ربي وربكم فاعبدوه... إلخ.
- ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه... وأن الله ربي وربكم فاعبدوه... إلخ.
- وذلك أن الله ربي وربكم فاعبدوه... إلخ.

والملاحظ أن ورود (أنَّ) في بداية الآية لا بُدَّ من أن يكون لها ما قبلها من المحذوف أو المعطوف عليه في المعنى، فتكون الآية إذن وصلاً ما قاله عيسى عليه السلام من قَبل في هذا المعنى، وكذلك شكلُه، فإنه يتفق مع كونه تواصلاً مع ما قاله عيسى عليه السلام؛ إذن يكون ورود (أنَّ) مُتَّفقًا مع مجرى الكلام وسياقه، وهذا لا يعني أن قراءة الكسر تُخالف السياق، بل لها مسوغات، فنجد (إنَّ) مستأنفًا ومبتدئًا، فالجملة تكون جديدة بعد القطع بآيتَين

[1] قطب، سيد، **في ظلال القرآن**، ج4، ص2300.

[2] ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ص1187.

قبلها، ولكن الذي يظهر لنا أن الجملة ليست جديدة في المعنى، ولكنها تواصل كلام عيسى عليه السلام، فما السر في ذلك؟

جاءت هذه الآية من ناحية المعنى وصلاً كلام عيسى عليه السلام قبلها، وبهذا تكون (إنَّ) و(أنَّ) متساويتين من حيث إنهما كلام عيسى عليه السلام المتواصل في الآيات 30 – 32، وتلك المساواة تكون في الظاهر أو في المعنى العام، لكن هناك سرٌّ لورود (إن)؛ ذلك أنها تشير إلى أن عيسى عليه السلام بدأ يخاطبهم مباشرة، ويأمرهم بأن يعبدوا الله سبحانه وتعالى، وهذا النوع من الخطاب لم يكن مذكورًا في كلامه السابق الذي يُركز فيه تعريفه بنفسه أنه عبد الله، وأن الله جل جلاله جعله نبيًّا، وله أُمٌّ، وليس له أب، وأنه يُولد في هذه الدنيا وسيموت مثل كل إنسان؛ إذن ليس ابن الله عز وجل، وليس في الكلام أي تصريح بالرسالة النبوية، أما كلامه اللاحق ففيه بيان رسالته النبوية، ولعل (إنَّ) مستأنفًا مبتدئًا يوافق هذا الغرض؛ أي ابتداء عيسى عليه السلام كلامه بتبليغ رسالته النبوية؛ لذا يتضح لنا أن لورود (إن) سببًا مُهمًّا في السياق.

خلاصة القول أن لورود القراءتين في الآية سرًّا، فالقراءة بالكسر لأنه مستأنفًا مبتدئًا بعد القطع تتفق مع غرض الكلام الجديد، وهو ابتداؤه كلامه عليه السلام بتبليغ الرسالة النبوية بعد ما تكلَّم عن نفسه، وورود القراءة بالفتح يكون متفقًا مع مجرى الكلام وسياقه، ومن حيث المعنى يُمثل تواصل ما قاله عيسى عليه السلام من قبلُ، وهو يتفق مع كونه تواصلاً مع ما قاله عيسى عليه السلام بأنواع من الوجوه المقدرة قبله (أنَّ)؛ لأنه من حيث الشكل لا يكون في بداية الكلام، بل (إن) يأخذ بداية الكلام، والقراءتان في معناهما العام متساويان؛ لأنهما كلام عيسى عليه السلام، ويقعان في موضع منفصل عن كلامه السابق بفاصل أو تعقيب، فهما مختلفان، وليس الاختلاف من باب تناقض المعنى، بل من باب التنوع البلاغي المحمود.

الموضع الخامس

في قوله سبحانه وتعالى: ﴿واذْكُرْ فِي الكِتَابِ مُوْسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وكَانَ رَسُولاً نبيًّا﴾

(مريم: 51)، نجد وجهين للقراءة؛ قرأ: عاصم، وحمزة، والكسائي، وخلف؛ بفتح اللام، والباقون بكسرها.[1]

فالواضح أن الاختلاف ههنا ما بين القراءة على صيغة اسم الفاعل (مُخلِصًا) وعلى صيغة اسم المفعول (مُخْلَصًا)، ولكل قراءة حجتها،[2] فللأولى قوله ﷻ: ﴿إِنَّا أَخْلَصْنَاهُم بِخَالِصَةٍ...﴾ (ص: 46)، وللثانية قوله ﷻ: ﴿وادْعُوهُ مُخْلِصِيْنَ لَهُ الدِّيْنَ...﴾ (الأعراف: 29).

وفي تفسير معنى الصيغَتين قال أبو حيان إن: (مخلِصًا) بمعنى: أخلص العبادة عن الشرك والرياء،[3] و(مخلَصًا) بمعنى: أخلصه اللهُ للنبوة والعبادة،[4] وقال أبو زرعة: في معنى الأول (مخلِصًا): "أخلص هو التوحيد فصار مخلِصًا، وجعل نفسه خالصة في طاعة الله"، وفي الثاني (مخلَصًا): "أي أخلصه الله واختاره وجعله خالصًا من الدنس"،[5] فالواضح من التفسيرين أن الاختلاف يكون في نسبة الفعل إلى الفاعل، ففي صيغة اسم الفاعل (مخلِصًا) يكون الفاعل موسى عليه السلام نفسه، وفي صيغة اسم المفعول يكون الفاعل الله جل جلاله، والمعنيان مناسبان سياق الآية التي فيها أمر الله عز وجل رسوله ﷺ بذكر قصة موسى عليه السلام على جهة التشريف له وإعلامه بأنه كان مخلصًا وكان رسولاً نبيًّا.[6]

ويرى الباحثان أن السر هنا يشبه ما في الآية 40 من سورة الحجر بخصوص الاختلاف بين (المخلِصين) و(المخلَصين)، فيكون ورود القراءة على الوجهَين على أساس قدرته جل جلاله على كل شيء، ومنحه البشر في إطار هذه القدرة حرية الاختيار، كما قال ﷻ: ﴿ونَفْسٍ ومَا سَوَّاهَا ۞ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وتَقْوَاهَا ۞ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا

[1] ابن الجزري، **تقريب النشر في القراءات العشر**، ص127-141.

[2] أبو زرعة، **حجة القراءات**، ص444-445.

[3] أبو حيان، **البحر المحيط**، ج6، ص187.

[4] المصدر نفسه.

[5] أبو زرعة، **حجة القراءات**، ص444-445.

[6] المصدر نفسه.

﴿ وقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾ (الشمس: 7-10)، فتأتي القراءة على صيغة اسم المفعول؛ للإشارة إلى أنه ﷻ يختار من عباده مَن يشاء بأن يكون رسوله، وأن يخلصه ويجعله خالصًا من الدنس، وفي استخدامه صيغة اسم الفاعل إشارة إلى أن نبيَّه المختار موسى عليه السلام سار باختياره بعد أن هداه جل جلاله إلى طريق مستقيم، وأخلص نفسه له سبحانه وتعالى، والمعنيان لا يتناقضان، بل يتكاملان في وصف موسى عليه السلام.

الموضع السادس

في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ويَقُولُ الإنْسَانُ أئِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا﴾ (مريم: 66)؛ الاختلاف الفرشي بإثبات همزة الاستفهام وإسقاطها بين (أئذا) و(إذا)؛ قرأها بالخبر ابن ذكوان، أي: إذا ما متُّ، والباقون بالاستفهام، أي: أئذا ما متُّ،[1] وقد ناقش ابن الجزري اختلاف القراء في إثبات همزة الاستفهام وإسقاطها في باب الهمزتَين المجتمعتَين من كلمة.[2]

والآية تحكي حالة إنسان متكبر يُنكر البعث، ويستبعده، فيعبر عن ذلك بما معناه أنه لا يتصور أن يعود حيًّا بعد أن كان ميتًا، وردَّ جل جلاله عليه في الآية التي بعدها بتذكيره بأصله؛ أي إنه ﷻ خَلَقَهُ ولم يك شيئًا، أفلا يُعيده وقد صار شيئًا؟[3]

وبالنظر إلى هذا السياق اتضح لنا أن المقام بالنسبة إلى المنكِر مقام الاستهزاء والسخرية، فاستخدام الاستفهام في هذا المقام أمرٌ وارد مناسب، وهو استفهام مجازي للجحد والإنكار،[4] والاستفهام إذا كان بالهمزة – ولا سيما في الكلام المنطوق – جاز فيه إسقاط الهمزة؛ لأن التنغيم يُساعد السامع على فهم الكلام على معنى الاستفهام، فالقراءة

---

[1] **المصدر السابق**، ص25.

[2] ابن الجزري، **تقريب النشر في القراءات العشر المتواترة**، ص24-26.

[3] ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ص1196.

[4] أبو حيان، **البحر المحيط**، ج6، ص195.

(أئذا) تأتي على الاستفهام صريحة، والقراءة (إذا) تأتي على الاستفهام ضمنًا، على أنه يحتمل أيضًا في هذه القراءة حملُ الكلام على الخبر لغرض الهزء والسخرية، وهذا مثل ما جاء في قوله ﷻ على لسان قوم شعيب عليه السلام: ﴿إِنَّكَ لأَنْتَ الحَلِيمُ الرَّشِيْدُ﴾ (هود: 87)، وبهذا التفسير تتبادر إلى ذهننا صورة شخص يمرح بأنداده في لقاءاتهم مستهزئًا بفكرة البعث وبمبلِّغها قائلاً ما مؤداه: انظر إلى جسدي هذا! إذا ما متُّ لسوف أُبعث حيًّا!

فتعدُّد الدلالة كما نراه في هذا الموضع يزيد المعنى ثراء؛ لأنه يُقدم صورة أشمل عن المنكِر، إذ لم يتحدَّ فكرة الإنكار بسؤاله الإنكاري فحسب، بل استهزئ بهذه الفكرة مع أصحابه الذين شاركوه الإنكار والجحد.

الموضع السابع

في قوله ﷻ: ﴿أَوَلا يَذْكُرُ الإنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ ولَمْ يَكُ شَيْئًا﴾ (مريم: 67)، قرأ: نافع، وابن عامر، وعاصم: ﴿أولا يَذْكُرُ﴾، بتخفيف الذال والكاف بضمِّها، والباقون بتشديدهما وفتحهما.

ففي هذا الخلاف الفرشي وجهان؛ أولهما (يَذْكُرُ)، وثانيهما (يَذَّكَّرُ)، فالفعل الأول على وزن (يَفْعُلُ)، والثاني على وزن (يَتَفَعَّلُ)، ومن حيث المعنى العام لا يختلف معنى الآية، ولكن البلاغة تقتضي شيئًا آخر.

إن الآية في سياق الكلام عن الكافر المنكِر البعث،[1] وقد جرى السياق على تهديد قاسٍ ومُرهب لهؤلاء المعاندين المنكرين البعث؛ قال ﷻ: ﴿فَوربِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُم والشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُم حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ۞ ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهم أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا ۞ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُم أولَى بِهَا صِلِيًّا ۞ وإنْ مِنْكُم إلاَّ وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ

[1] الحمصي، محمد حسن، **تفسير وبيان مفردات القرآن على مصحف التجويد مع أسباب النزول للسيوطي مع فهارس كاملة للمواضع والألفاظ**، (بيروت: مؤسسة الإيمان، 1999م)، ص310.

حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾ (مريم: 68-71).

وفي قراءة (يَذْكُر) يبدو أن الدلالة الكامنة في يُسْرِ نُطْقِهِ أن أمر البعث بدهيٌّ رغم أنه من الغيبيات، فمن يُريد أن يعقله لن ينكره، وقد منحهم عَزَّ وَجَلَّ عقلاً، ولكنهم لا يعقلون، وأتى جَلَّ جَلَالُهُ في هذه الآية بمسوغ وجود البعث أنه جَلَّ جَلَالُهُ خَلَقَ من العدم، أفلا يبعث الميت بعد ما صار شيئًا؟[1]

والقراءة بالتشديد ربّما توحي بتثاقُل المنكرين البعث عن الانتفاع بعقولهم؛ ليقبلوا وجود البعث، ومن ثمّ يؤمنون بالله العزيز الحميد؛ قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مثبتًا تجاهلهم عن ألوهيته: ﴿ولَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّم كَثِيْرًا مِنَ الجِنِّ والإنْسِ لَهُم قُلُوْبٌ لا يَفْقَهُوْنَ بِهَا ولَهُم أعْيُنٌ لا يُبْصِرُوْنَ بِهَا ولَهُم آذَانٌ لا يَسْمَعُوْنَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأنْعَامِ بَلْ هُمْ أضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الغَافِلُوْنَ﴾ (الأعراف: 179).

وفي القراءتين توبيخ وتقريع لهم، ففي (يذْكُر) عاتبهم جَلَّ جَلَالُهُ لأن البعث أمرٌ سهلُ الإدراك، ولا يشك فيه إلا سفيه، أما في (يذَّكّر) فثقلُ النطق يمثّل تثاقُلهم في تدبُّر أنه عَزَّ وَجَلَّ خلقهم من عَدَمٍ.

الموضع الثامن

في قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وتَنشَقُّ الأرْضُ وتَخِرُّ الجِبَالُ هَدًّا﴾ (مريم: 90)؛ اختلف القراء، فنافع، وأبو جعفر، وابن كثير، والكسائي، وحفص؛ قرؤوا (يَتَفَطَّرْنَ) بالتاء وفتح الطاء مشددة، والباقون بالياء والنون ساكنة وكسر الطاء مخففة (يَنْفَطِرْنَ).[2]

(يَتفَطَّرْنَ) مضارع (تَفطَّرَ)، و(يَنْفَطِرْنَ) مضارع (انْفطَرَ)، وواضح أن الاختلاف الفرشي هنا بين الوزنين (تَفَعَّلَ) و(انْفَعَلَ)؛ قال الفارسي إن (انفطر) مطاوع (فطر)، كما

---

[1] ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ص1196.

[2] ابن الجزري، **تقريب النشر في القراءات العشر**، ص140.

أن (تفطَّر) مُطاوع (فطَّر)، و(فطَّر) للتكثير، فمُطاوعه مثله في الدلالة على الكثرة،[1] وفي تفسير المعنى للصيغتين قولان: أحدهما أنهما بمعنى واحد،[2] وثانيهما أن (يتفطَّرن) بمعنى (يتشقَّقن)، و(ينْفَطرن) بمعنى (ينْشَقِقنَ)، و(يتفطَّرن) أشد مبالغة في تغيُّظهن على مَنْ نسب إلى الله ﷻ ولدًا، كقوله في قصة النار: ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الغَيْظِ﴾ (الملك: 8)، ولم يقل: تنماز،[3] وهنا يُمكن تفسير (يتفطَّرن) بتشقُّق السموات مرة بعد أخرى.[4]

ونقل الفارسي قول بعض المتأولين: "كانت العرب إذا سمعت كذبًا ومُنكرًا تعاظَمَتْه وعظَّمته بالمثل الذي كان عندها عظيمًا، فتقول: كادت الأرض تنشقُّ، و أظلم [على] ما بين السماء والأرض، فلما افتروا على الله الكذب ضَرَبَ مثل كذبهم بأهول الأشياء وأعظمها"،[5] والآية في تصويره ﷻ أثر ذلك القول الفظيع – ﴿وقالوا اتخذ الرحمن ولدًا﴾ – "في الدين، وهدمها لأركانه وقواعده، وأن مثال ذلك الأثر في المحسوسات أن يصيب هذه الأجرام العظيمة التي هي قوام العالم ما تنفطر منه وتنشق وتخرُّ"،[6] ويجوز أن يكون المعنى: كاد الله أن يفعل هذا بالسموات والأرض والجبال عند وجود تلك الكلمة؛ غضبًا منه على مَنْ تفوَّه بها.[7] ويرى الفارسي أنَّ (تفطَّر) أليق بهذا الموضع؛ لأن فيه معنى المبالغة وتكثير الفعل، وأنَّ ما في سورة مريم إنما هو لعظم فِريتهم وعُتوِّهم في كفرهم، فالمعنيان مختلفان. ويرى كذلك أن مقام الآية وغرضها يختلفان عن آيتي المزمل والانفطار: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ﴾ (الانفطار: 1)، ﴿السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولاً﴾ (المزمل: 18)،[8]

---

[1] الفارسي، **الحجة في علل القراءات السبع**، ج3، ص509.

[2] الأزهري، **كتاب معاني القراءات**، ص288؛ أبو زرعة، **حجة القراءات**، ص448.

[3] أبو زرعة، **حجة القراءات**، ص 449.

[4] البنا، **إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر**، ج2، ص240.

[5] الفارسي، **الحجة في علل القراءات السبع**، ج3، ص510-511.

[6] الزمخشري، **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، ج2، ص525.

[7] المصدر نفسه.

[8] الفارسي، **الحجة في علل القراءات السبع**، ج3، ص509-510.

ففي الآية 90 من سورة مريم تناغمت صيغة التشديد مع نسق الآية؛ لأن وقع الفرية شديد ثقيل على ذوي الحسِّ والنُّهى، حتى السموات يكدن يتفطرن منه على جهة التمثيل للمبالغة في تعظيم قولهم والتشنيع عليهم، أما الآيتان من المزمل والانفطار فالمعنى لا يعود إلى نظر الناس في الدنيا، بل الواقع في تصوُّر يوم القيامة، فلا يحتاج إلى تصوُّر جهدٍ أو ثقلٍ، فلا غرو إذن من ورود الآيتين على صيغة التخفيف.[1]

وإذا كان ذلك توجيه قراءة (يتفطَّرن)، فكيف بقراءة (ينفَطِرن)؟ إن ورود (ينفطرن) يحمل معنى انشقاق السموات مرة واحدة، وفي هذا المعنى تخيُّل أنه من شدة تلك المقولة وعظمها عنده ﷻ كأنها تُسبِّب انشقاق السموات مرة واحدة، ولا تكتفي بذلك، بل يتبع ذلك الانشقاق تشققها مرة بعد مرة، فيكون المعنيان إذن متكاملَين لا متناقضَين، وهذا خلاصة القول.

خاتمة

هدف هذا البحث إلى اكتشاف أسرار دلالية لتعدُّد الفرش في سورة مريم بالنظر إلى سياق الآية، وخصَّ تحليل الاختلاف الواقع في ثماني آيات قرآنية فيها اختلاف فرشي من هذه السورة، والاختلاف واقع في الأفعال، والأسماء، والأحرف، وقد توصّل البحث إلى أشياء تستحق الانتباه إليها في نظر الباحثَيْنِ؛ إذ إنها تدل في وضوح إلى أن الاختلاف الفرشي لا يحدث عبثًا، بل له سَبَبٌ وسِرٌّ، فقد اتضح أن الاختلاف الفرشي في القرآن ليس من باب التناقض، بل من التنوع البلاغي المحمود، وهذا يمكن النظر إليه على أنه جانب من الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم، ومن ثم ينتفي اتهام المستشرقين بأن وجود الفرش دلالة على تدخُّل البشر في إنشاء القرآن، وقد لاحظ الباحثان أن هنالك معاني عامة للآيات التي وردت فيها اختلافات الفرش، وأن هناك أيضًا معاني ضمنية

---

[1] أحمد، **التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية**، ص 475.

يمكن إدراكها بإمعان النظر إلى ما حول تلك الآيات، أي سياقها؛ لأنه من أهم أدوات اكتشاف أسرار الفرش القرآني، ولا يمكن الاستغناء عنه في هذا الموضوع.

References: المراجع:

Abu Ḥayyān, *Tafsīr al-Muhīt*, (Beirut: Dār al-Kitāb al-'Ilmiyyah, 1st Edition 2001).

Abu al-Faraḥ, Sayyid Lāshīn; al-Ḥāfiz, Khālid Muḥammad, *Taqrīb al-Ma'ānī fī Sharḥ Ḥirz al-Amānī fī al-Qirā'āt al-Sab'*, (Medina: Maktabah Dār al-Zamān, 1st Edition, 2000).

Aḥmad, Sa'ad Muḥammad, *al-Tawjīh al-Balāghī li al-Qirā'āt al-Qurāniyyah*, (Cairo: Maktabah al-Ādāb, 1st Edition, 2000).

Al-Azharī, Abū Manṣūr, *Kitāb Ma'ānī al-Qirā'āt*, (Beirut: Dār al-Kitāb al-'Ilmiyyah, 1st Edition, 1999).

Al-Bannā, Muḥammad bin Aḥmad, *Ittiḥāf Fuḍalā' al-Bashar bi al-Qirā'āt al-Arba'ah 'Ashar, ed. Dr. Sya'bān Muḥammad Ismā'īl*, (Beirut: 'Ālam al-Kutub, 1st Edition, 1987).

Al-Bāqūlī, *Kashf al-Mushkilāt wa Īḍāḥ al-Mu'aḍalāt fī I'rāb al-Qurān wa 'Ilal al-Qirā'āt*, (Oman: Dār 'Ammār, 2001).

Al-Bukhāri, *al-Jāmi' Al-Ṣaḥīḥ*, (Mansoura: Dār Ghadd al-Jadīd, 2000).

Al-Farrā', *Ma'ānī al-Qurān, ed. Muḥammad 'Alī al-Najjār*, (Cairo: Dār al-Surūr, 1955).

Al-Fārisī, *al-Ḥujjah fī 'Ilal al-Qirā'āt al-Sab', ed. 'Alī al-Najdī Nāṣif; 'Abd al-Fattāḥ Shalabī*, (Cairo: al-Hay'ah al-Miṣriyyah al-'Āmmah li al-Kitāb, 2nd Edition, 1983).

Al-Humṣī, Muḥammad Hasan, *Tafsīr wa Bayān Mufradāt al-Qurān 'alā Muṣḥaf al-Tajwīd ma'a Asbāb al-Nuzūl li al-Suyūṭīī ma'a Fahāris Kāmilah li al-Mawāḍi' wa al-Alfāz*, (Beirut: Mu'assah al-Imān, 1990).

Al-Mutawallī, Ṣabrī, *al-Tawjīh al-Lughawī wa al-Balāghī li al-Qirā'āt al-Imām 'Āṣim*, (Cairo: Dār Gharīb li Ṭibā'ah wa al-Nashr wa al-Tawzī', 1996).

Al-Nuḥās, Abū Ja'far, *I'rāb al-Qurān, ed. Zuhayr Ghāzī Zāhid*, (Beirut: Maktabah al-Nahḍah al-'Arabiyyah, 3rd Edition, 1988).

Al-Qādī, 'Abd al-Fattāḥ, *al-Qirā'āt fī Naẓar al-Mustashriqīn wa al-Mulḥidīn*, (Cairo: Dār Miṣr li al-Ṭibā'ah, no date).

Al-Qīsī, Makkī bin Abi Ṭalib, *Kitāb al-Kashf 'an Wujūh al-Qirā'āt al-Sab' wa 'Ilaliha wa Ḥujjatiha*, ed. Muḥy al-Dīn Ramaḍān (Beirut: Mu'assah al-Risālah, 1987).

Al-Qurān al-Karīm

Al-Suyūṭī, *al-Itqān fī 'Ulūm al-Qurān*, (Beirut: Maktabah al-Thaqāfiyyah, 1973).

Al-Ṭabarī, *Jāmi' al-Bayān 'an Ta'wīl Āyy al-Qurān*, (Cairo: Dār al-Salām, 1st edition, 2005).

Al-Zamakhsharī, *al-Kashāf 'an Ḥaqā'iq al-Tanzīl wa 'Uyūn al-Aqāwīl fī Wujūūh al-Ta'wīl*, (Cairo: Sharikah Maktabah wa Maṭba'ah Muṣṭafā al-Bābī al-Ḥalabī, 1966).

Ibn al-Jazarī, *al-Nashr fī al-Qirā'āt al-'Ashar*, (Beirut: Dār al-Kutub al-'Arabī, no date).

Ibn al-Jazarī, *Taqrīb al-Nashr fī al-Qirā'āt al-'Ashar*, ed. Ibrāhīm 'Aṭwah 'Awad, (Cairo: Dār al-Hadīth, 2nd Edition, 1992).

Ibn al-Qāṣiḥ, *Sirāj al-Qāri' al-Mubtadi' wa Tadhakār al-Muqri' al-Muntahī*, (Beirut: Dār al-Fikr, 1995).

Ibn Kathīr, *Tafsīr Al-Qurān al-'Azīm*, (Beirut: Dār Ibn Ḥazm, 1st Edition, 2001).

Ibn 'Aṭiyyah, *Al-Muḥarrar al-Wajīz fī Tafsīr al-Kitāb al-'Azīz*, (Beirut: Dār al-Kitāb al-'Ilmiyyah, 1st Edition 2001).

Ibn Zanjalah, Abu Zar'ah, *Ḥujja al-Qirā'āt, ed. Saīd al-Afghānī*, ((Beirut: Mu'assah al-Risālah, 5th Edition, 2001).

Ḥabsh, Muḥammad, *al-Shāmil fī al-Qirā'āt al-Mutawāṭir*, (Beirut: Dār al-Kalim al-Ṭayyib, 2000).

Muḥayysin, Muḥammad Sālim, *al-Mughnī fī al-Tawjīh al-Qirā'āt al-'Ashar al-Mutawātirah*, (Beirut: Dār al-Jīl, 3rd Edition, 1984).

Muḥayysin, Muḥammad Sālim, *al-Qirā'āt wa Atharuhā fī 'Ulum al-'Arabiyyah*, (Cairo: Maktabah al-Kulliyyāt al-Azhariyyah, 1984).

Ni' Hannān, Muṣtafā, "Awjuh al-Khilāf al-Naḥwī fī Qirā'ātay Abī 'Umar bin al-'Alā' wa al-Kisā'ī", (Risālah Mājistīr, Kulliyyah Ma'ārif al-Wahy wa 'Ulūm al-Islāmiyyah-al-Jāmi'ah al-Islāmiyyah al-'Ālamiyyah bi Malīziyyā, 2005).

Qutub, Sayyid, *Fi Ẓilāl al-Qurān*, (Jeddah: Dār 'Ilm, 12th Edition, 1960).

.